ورق فان لم تنفذ هي القوانين الاساسية في مصر وقعت في ما اخذت به غيرها

فهذه الاسباب مجتمعة جميعها مستقر عندي ان اقرب طريق تصل به الامة المصرية لرد سلطتها اليوم والحصول على استقلالها غداً هو هذا المجلس الذي طوى ذكره الزمان . وجئت بهذه المقالة لتكون له كالاعلان

توفيق البكري

الرستن وتاريخها

منذ عهد قريب مدّت السكة الحديدية الى حماة ثم الى حلب فسهّلت الانتقال الى بلاد كان يتعسر قديماً الوصول اليها دون عناء جزيل . ولقد كانت تلك البلاد عامرة في سالف الزمان تحوي الوفا من السكان وفي غالب الظن انها مهد السوريين . وهي تمتد من بعلبك الى حماة والبلاد غزيرة المياه كثيرة الخصب معتدلة الهواء يسقيها نهر عظيم سماه اليونان الاللدون تيفون ثم اورونتس ودعته العرب العاصي . وبين حمص وحماة مدينة قديمة اسمها الرستن لها شهرة تاريخية . وقد أخبرنا ان فيها آثاراً قديمة فقصدنا مشاهدتها وركبنا القطار في العيد الماضي ووصلنا حمص وبتنا فيها ولما كان الغد صعدنا الى حصنها الشاهق وقد كانت له شهرة طائرة في ما سلف وحدثت فيه الوقائع العظيمة فكنهُ الآن خراب . وطفنا قليلاً في شوارع المدينة ومنازلها فالفيناها مشحونة بالآثار اليونانية والكوفية والعربية

وعند الساعة العاشرة افرنجية ركبنا مركبة وقصدنا الرستن على طريق المركبات الموصلة الى حماة ومنها الى حلب . فسرنا ما بين المروج والسهول والطريق مستوٍ لا يرى فيه اعوجاج . وما مضى علينا ساعة وربع ساعة حتى وصلنا قرية اسمها تل بسه بيوتها قرية البناء كل بيت منها حجرة واحدة تعلوها قبة فتراها كلها قباباً وكان الاصح ان تسمى قرية القباب . وبعد ساعة دخلنا قرية الرستن وهي تشرف على نهر العاصي وقد بقي لنا نصف الطريق الى حماة

كانت الرستن تدعى في الزمن القديم اريثوسه او اريطوسا . وقد حدد الجغرافيون القدماء موقعها في شمال مدينة حمص بالقرب من ايفانيا (حماة) وقالوا ان مؤسسها سلوقس الاول نيقاطور (الذي ملك من سنة ٣١٢ الى ٢٨٠ قبل المسيح) ودعاها اريثوسه على اسم مدينة في بلاد مكدونيا [1] واغلب الظن انهُ سماها كذلك ناظراً الى موقعها على ضفة النهر . لان اريثوسه من بنات الماء في خرفات اليونان

وجاء عن سترابون [2] انها كانت قاعدة امارة عربية دخلت في حمى الروم على عهد

(١) ذكرها ايانوس Strabon XVI, 753. (٢) Appien, Syriaca 57.

اغسطوس وطيباريوس . ويستدل من الكتابة المنقوشة على سكة هذه المدينة انها كانت مستقلة مع انها كانت قبلاً تابعة لولاية حلب

وورد ذكرها في حرب اوريليانس مع زينب او زينوبيا ملكة تدمر . فان المؤرخ اليوناني زوزيموس[1] اخبر عن رجوعها الى حمص لتتجند فرسان العرب فشدّ القيصر اوريليانس في اثرها وفتح في طريقه عدة مدن منها افامية ولاريسا واريثوسه حتى بلغ جوار حمص . فكانت اذاً الوقعة العظيمة بين اوريليانس وملكة تدمر في السهل العظيم بين حمص والرستن

ومعلوم من تاريخ الكنيسة ان اريثوسه كانت كرسيًّا اسقفيًّا تعصّبت فيها جملة اساقفة وذلك من اوائل القرن الرابع حتى اواخر القرن السابع وهاك اسماءهم[2]

استاتيوس وقد حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥[3]

مرقص الاول قتلهُ الوثنيون على عهد يوليانُس العامي

مرقص الثاني وقد حضر المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١[4]

اوسايوس وهو الذي اقام الحجة على مقتل القديس بروتريوس في سنة ٤٥٦ بالاتفاق مع اساقفة سورية الثانية

سويريانُس جلس على كرسي اريثوسه في القرن السادس

ابراهيم وكان في قيد الحياة قبل الشام المجمع المسكوني السادس سنة ٦٨١

واليك الآن ما كتبهُ ابنة العرب عن الرستن مبتدئين من رواية الواقدي في كتاب فتوح الشام[5] قال بعد ذكره عقد الصلح مع اهل حمص

" وسار ابو عبيدة رضي الله عنهُ الى الرستن فرآها حصنًا منيعًا وماؤها عزيز حصينة بالرجال فبعث اليهم رسولاً يأمرهم بالصلح وان يكونوا في ذمتهِ . فابوا عليهِ وقالوا انا لا نفعل ذلك حتى نرى ما يؤول اليهِ امركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله "

ثم اردف ذلك بقصة يصعب تصديقها وهي ان ابا عبيد اودع صاحب الرستن صناديق مقفلة وضع فيها رجالاً من الصحابة حتى اذا دخل رجال الرستن بينهم يحمدون الله على

---

(١) Zosime, lib. I C. 52

(٢) نقلاً عن تاريخ سورية ليوسف يانكي الجزء الاول وجه ١٧١

(٣) وقرأنا اسمهُ في محضرٍ عربي قديم في الجامع : افستاتيوس اسقف اراتوشيوس من اساقفة سوريا

(٤) وقرأنا اسمهُ في الكتاب نفسهِ : مرقس اسقف اريطوسا مدينة سوريا الثانية

(٥) وجه ١٢٩ من طبعة مصر سنة ١٣٢٨ مصحح على نسخ خطية قديمة عندنا

انصراف ابي عبيدة عنهم خرج الرجال من الصناديق واخذوا مفاتيح المدينة من زوجة صاحب الرستن وفتحوا الابواب فدخلها خالد بن الوليد برجاله

وجاء في كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ما نصهُ : —

ومن الاماكن القديمة المشهورة مدينة الرستن وكانت عامرة في لدن الزمان وهي اليوم خراب . وبها بيوت كالقرية واثار العمارة والجدران وبعض العقود بها ظاهر وكذا بعض ابواب المدينة واسوارها وتلُّها . وهي في جنوبي نهر العاصي على جبل اكثرهُ تراب . سطحها في المنبسط الآخذ الى حمص وفي بين حمص وحماة . . . ويقال انها خراب من زمن فتوح الشام

وفي صفحة ٤٧٠ من الجزء الاول من كتاب مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع طبع باتافيا ما يأتي : —

" الرستن بفتح اوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق واخرهُ نون : بليدة قديمة بين حماة وحمص كانت على نهر المياس وهو العاصي . وهي الآن خراب . وبها آثار باقية تدل على جلالتها وهي على علو يشرف على العاصي "

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ان الرستن بليدة قديمة كانت على نهر المياس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة . والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذو مريّ وهي في علو تشرف على العاصي . وقد نسب اليها ابو عيسى حمزة بن سليم العنبسي الرستني . سمع عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ونفراً من التابعين روى عن عمر بن الحارث

اما السائح الافرنج فقلَّ ما قصدوا هذا المكان ولم يكتبوا فيهِ الاَّ النزر فالعلاَّمة كرل ريتر الالماني كتب عنها في كتابهِ المسمَّى علم الارض ما يأتي بعد ان ذكر تأسيسها

" ان بقايا جلالتها القديمة هي خطام اسوار وبرجان فقط والسائح الوحيد علي بك في جزء ٣ وجه ٢٩٠ [1] هو وحدهُ كتب عن اخريتها ونبَّه الافكار اليها ومنذ ما كتب عنها ابو الفداء وسماها الرستن لا يظهر انهُ نزل بها نازلة او تغيَّر فيها شيء . وينسب بناء الخان والجامع القائمين على ضفة العاصي الغربيَّة الى السلطان مراد المشهور بناء الخانات "

وترجمنا الفقرة الآتية من كتاب ركتر [2]

---

(١) لم نقدر ان نعلم من هو علي بك الذي استشهد بوكارن ريتر ولا اين طبع كتابه رحلته

(٢) Richter's Wallfaprten, page 213.

ولا يرى شيء من اريثوسه القديمة سوى بعض اساسات ابنية او اكوام حجارة . وبيوت القرية كلها من الحجر الاسود في الطابق السفلي وهي مكلسة في الطابق العلوي . والجسر مبني على عشر قناطر والى جانبه طاحونة ماء وخان كبير

ولم نرَ الآن في الرستن سوى بعض البيوت المبنية بالحجر الاسود واساسات ابنية قديمة واكوام حجارة مبعثرة على مسافة نحو كيلومتر مربع . فلا نعلم هل كان خراب المدينة من عهد قريب او من زمن الفتوح كما قال ابو الفداء . ولا يبعد انها جددت بعد الفتح وخربت في حروب كثيرة تعاقبت فيها فقد قرأنا في تاريخ ابن الشحنة (خط) في الباب التاسع عشر ما نصهُ "انهُ في سنة ٤٩٦ (الموافقة لسنة ١١٠٢ مسيحية) نازل الفرنج الرستن ثم توجهوا وخرجوا من تل باشر واغاروا على بلد حلب الشمالي واحرقوهُ "

ويستدل من ذلك انها كانت حصينة في ايام الصليبيين ثم خربت بعدهم

وقد جئنا مدةً بين خرائبها فلم نشاهد اثرًا لبنيان عظيمة او قواعد اعمدة تدل على ابنية شاهقة كما يرى في تدمر وبعلبك . ومع ذلك لا تخلو تلك الحطام من دلالة على عمارة هذه المدينة في القديم واتساعها . ورأينا حول البيوت التي يسكنها الآن الرستنيون اثر ابواب جميلة محفورة في الحجر الاسود على طرز عربي . ولكن يد الخراب عاملة على ردم هذه الآثار ومحوها

ولم نتوفق الى اكتشاف اثر لكنيسة او دير الا اننا شاهدنا رأس عمود طيب من الجهة الواحدة صليب منحوت نحتًا جميلاً وحولهُ اربعة نجوم ومن جهة اخرى صورة وزة وكانت رمزًا عند البيزنطيين ومن جهة ثالثة اشارة راية الصليب المعروفة باللباروم Labarum ولما تقدمنا الى ضفة العاصي شاهدنا هناك بالقرب من الجسر المبني حديثًا الخان الذي مرَّ ذكرهُ آنفًا وبجانبه الطاحونة وانا على يقين ان اهل العلم لو تقبوا هذه الاتربة لوجدوا فيها آثارا بنية عتيقة تنبئ عن احوالها القديمة . ثم اننا لا نسلم برأي المؤرخين اليونان الاقدمين الذين زعموا ان اريثوسه تأسست على ايام سلوقوس ملك سورية اي في القرن الثالث قبل المسيح بل نظن انها قديمة جدًا ترقى الى عهد الحثيين وان اسمها اليوناني مأخوذ من الرستن لان تلك البقاع جميعها كان يسكنها الحثيون

وما يزيد قولنا تأكيدًا اكتشاف بعض العلماء في الرستن آثار حجارة عليها كتابة باللغة الحثية تشبه الكتابة الهيروغليفية

بيروت يوسف اليان سركيس